الدكتورة لطيفة الزيات

روائية مصرية

د. نور أفشاں*

الدكتورة لطيفة الزيات (١٩٢٣-١٩٩٦م) هي كاتبة أديبة روائية شهيرة فازت بأول دورة عن جائزة نجيب محفوظ للأدب وحازت على جائزة الدولة التقديرية للأدب أيضاً. كما هي تعتبر إحدى رائدات العمل النسائي في مصر التي اهتمت اهتماماً خاصاً لشؤون المرأة وقضاياها وهي أستاذة الأدب الإنجليزي بكلية البنات جامعة "عين شمس" سابقاً. وهي رمز من رموز الثقافة الوطنية المصرية التي ما زالت رائدا في جميع مجالات التي سجلتها وخاضتها ولها العديد من الأعمال الأدبية.

ولدت بعد قيام ثورة ١٩١٩م، أي أنها جاءت إلى الوجود عام ١٩٢٤م، في مرحلة مفعمة بالنضال الوطني للتحرر من الاستعمار البريطاني. وفى البداية تعرضت لبعض ما تتعرض له الفتاة العربية في المجتمع، خصوصا في بدايات القرن العشرين. وقد بدأت تعاني التضييق وما يشبه القمع، منذ أن بلغت العاشرة من عمرها، ولم يكن مسموحاً لها تسلك سوي طريق واحد، هو المسافة ما بين المدرسة والبيت. وحين أرادت متابعة الدراسة، لم يوافق عليها والدها في أول الأمر غير أن أخويها استطاعا إقناعه بأهمية التعليم لمستقبل المرأة والوطن. وحين كانت ما تزال في المرحلة الثانوية توفي والدها، فشجعها الأخوان على متابعة الدراسة والتحاق الجامعة. (١)

فحصلت على درجة الليسانس في الآداب من قسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٦م، ثم الدكتورة من الجامعة نفسها سنة ١٩٥٧م، تدرجت في الوظائف الجامعية ونالت الأستاذية سنة ١٩٧٢م، ثم تولت رئاسة قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية البنات جامعة "عين شمس" لفترة طويلة، كما رأست قسم

---

* المحاضرة المتعاقدة بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كشمير

النقد والأدب المسرحي بمعهد الفنون المسرحية، وأصبحت مديرة أكاديمية الفنون في السبعينيات. (٢)

شاركت لطيفة الزيات في الثورة الطلبة والعمال وانتخبت سكرتيرا عاما للجنة الوطنية للطلبة والعمال سنة ١٩٤٦م، هي اللجنة التي قارت كفاح الشعب المصري ضد الاحتلال البريطاني، وقد لعبت لطيفة الزيات دورا مهما في الحياة الثقافية والسياسية المصرية، فرأست لجنة الدفاع عن الثقافة القومية التي ساهمت في تأسيسها عام ١٩٧٩م، كانت عضوا في مجلس السلام العالمي، وأول عضو منتخب في مجلس اتحاد الكتاب المصريين، ولجنة التفرغ والقصة بالمجلس الأعلى للفنون، تولت تحرير الملحق الأدبي لمجلة الطليعة الصادرة عن مؤسسة الأهرام وحصلت على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٩٦م. (٣)

وهي تقول عن نفسها:

" ففي أعماقي اشعر أن عقلي لا يقل عن عقل أيّ رجل. وإن تفكيري لا يقل اتزانا عن تفكيره. كما أن قدراتي العقلية لا تقل عن قدرات كثير من الرجال، وربما تفوق بعضهم. واعتقد أن هذا لعملي السياسي الجماهيري في الجامعة، الذي منحني الإحساس بالندية مع أقراني من الرجال." (٤)

تعد لطيفة الزيات من الكاتبات ذوات الاتجاهات المتباينة في الحياة، حيث تنوعت أدوارها الاجتماعية التي شاركت بها في مجالات المجتمع، وكتبت القصص الروايات وتتسم أعمالها القصصية والروائية بمعرفة صحيحة بالحياة، وبالتكوين النفسي للنماذج الإنسانية وبالمتناقصات الاجتماعية التي تتحرك في إطارها وتتفاعل معها.

ومن أهم الكتب التي أصدرتها لطيفة الزيات: ((الباب المفتوح)) رواية أصدرت عام ١٩٦٠م، ترجمت إلى الإنجليزية، وفازت بأول دورة عن جائزة نجيب محفوظ للأدب في سنة وفاتها١٩٩٦م، (٥) وتحولت إلى فيلم من بطولة فاتن حمامة وصالح

سليم الذي فاز بجائزة فيلم في مهرجان جاكرتا السينمائي وصدرت لها ترجمة باللغة الإنجليزية. (٦)

وتعد هذه الرواية واحدة من أولى الروايات التي تنصر قضايا المرأة، خاصة إنها كانت في مرحلة مبكرة من الروايات النسوية.

فتعكس هذه الرواية الفترة من ١٩٤٦م إلى ١٩٥٦م ومقاومة الشعب المصري للاستعمار الإنجليزي ومعركة بورسعيد، وتؤكد على أهمية الالتحام الشعبي والترابط بين كافة أفراد الشعب المصري في سبيل الدفاع عن الوطن. وقد عرضت الرواية فترة هامة في تاريخ مصر الحديث، واهتمت الاهتمام بالقضايا السياسية إلى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية أيضًا ثم تمثلت في التأكيد على أهمية مشاركة المرأة مع الرجل في الدفاع عن مصر واهتمت الدكتورة بالربط بين القضايا السياسية والاجتماعية، بل الثقافة والتأكيد على دور المثقفين في التعبير عن الموقف العام للوطن.

وتكتب الدكتورة في الرواية "الباب المفتوح":

" ليس هناك سوي حل واحد، أن يحدث شيء هائل، يهز هؤلاء والناس المحترمين المستقرين المطمئنين، معجزة تجبرهم على تمزيق أكفانهم، وإلا فلن يتغير الأمر.. لن تتمزق الأكفان، لأنهم يتمسكون بها ويستترون خلفها.. يحسبون أنها تجميهم وتقويهم بينما هي في الواقع تشل خيالهم وعقولهم وقدراتهم. وخلف هذه الأكفان يعيشون كل واحد منهم يقول: لا لن أغامر، لن أخاطر، لن أخرج عن الدائرة المرسومة لى، قد أضر نفسي، قد أضر مصالحي، قد أضر مستقبلي، قد أضر أولادي. لا لن أفكر إلا في الأفكار التي يتقبلها مجمعي، ولن أرغب إلا في الأشياء التي يفعلونها ولن أشعر إلا بالمشاعر التي يستشعرونها ولن أنفعِل، إن الانفعال قرين الألم وسأجنب نفسي الألم وسأجنب ولن أفعل إلا ما فيه صالحي أنا. وتحت أكفانهم يعيشون، لا يحبون حبا كبيراً، ولا يضحون تضحية كبيرة، ولا يحلقون فيعالم الفكر والخيال والحس،

ويتزوجون ويلدون قوالب متكررة، أوساط من الناس بلا عبقرية، بلا نبوغ، بلا تفنن، بلا ابتكار، بلا قدرة على الحب الحقيقي."(٧)

وتكتب في موضع آخر في" الباب المفتوح":

" ووقفت ليلى على الشاطئ ترقب تيار الحياة وهو يتدفق. وشيء في قلبها يثور ويتمرد، يريد أن يصل. ما بينها وبين تيار الحياة، وشيء في عقلها يشدها إلى الوراء، ويطوقها ويحبسها على الشاطئ. " (٨)

ولها ((الشيخوخة)) فهذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من القصص الكثيرة التي تتحدث عن الأحوال النساء وهي على مشارف الشيخوخة والوحدة وأزمات منتصف العمر.

فتكتب الأديبة الدكتورة في هذا الكتاب:

" الشيخوخة هي شعور الفرد بأن وجوده زائد على حاجة البشر، وأن الستار أسدل ولم يعد له دور يؤديه، وهي الافتقار إلى معنى الوجود ومبوغه الناتج عن هذا الشعور. والشيخوخة بهذا المعنى حالة، وليست مرحلة من مراحل العمر، وهي حالة نفسية وليست بالضرورة حالة فيزيائية، وإن أدت ربما قبل الأوان إلى عوارض فيزيائية. والشيخوخة بهذا المعنى مرض لا يصيب سوي الإنسان المريض. لا يشيخ الإنسان إلا إذا فقد قدراته العقلية أو جانباً من هذه القدرات. قد يطعن الإنسان في السن ويضطر إلى تغيير عدسات القراءة المرة بعد المرة. قد لا تحمله ساقاه ويضطر إلى الاستناد إلى عكاز أو إلى ذراع بشرية، ولكنه لن يستشعر أبداً برد الشيخوخة، ولا الإحساس بانعدام الوزن ما ظل يناطح، ويبدأ عملا وينهيه، يقبل تحديا فكريا أو مادياً ويتجاوزه، يتبين منتشياً ومحتضنا للذات المزيد من القدرة على المناطحة، على المعرفة والتوصل إلى الهدف. لا يشيخ الإنسان طالما ظل عقله يضفي على وجوده معنى، يغنيه بهذا الوهج المتواصل الذى لا يشتعل فجأة ويخمد

الـذى يـدفئ ولا يحرق، هـذا الوهج الأزرق زرقـه غـاز البوتـاجـاز النقي، الهادئ هدوء اليقين. " (٩)

وقصـص أخرى هي ((بدايات))، و((الممر الضـيق))، و((الرسـالة)) و((على ضـوء الشـموع)) (مجموعة قصـصـية) (١٩٨٦). و((الرجل الذي عرف تهمته)) (مجموعة قصصية) (١٩٨٦).

و((حملة تفتيش)): أوراق شـخصـية (سـيرة ذاتية) (١٩٩٢). هي السـيرة الذاتية التي قال عنها الأديب اللبناني إلياس خوري:

"إننا أمام وتجربة مثيـــرة ومدهشـــة باعتبارها أول كاتبة عربية تعري حياتها أمامنا. تكتب لأنها تعرف، بل لأنها تبحث. تروى الحكاية لأنها ستكتشفها وفي النهاية تبدو أمامنا تجربة إنسانية متوترة وقلقة وملتزمة في وقت واحد. ولأنها تكتب للبحث عن هويتها، فإنها تحكى عن فتـــرات من حياتها لا تخضـــع للمســـار التقليدي، ونجدها تمزج بين لحظات ومحطات الزمن المختلفة، فكان السـرد ينتقل بين الماضـي والحاضـر، ماضـي الأحداث وحاضـر الكتابة، وماضـي الألم والحاضـر الواعي بالتفصيل وبخفايا السلوك وأسباب القهر زواجها الأول والثاني، وحكاية طلاقها من رشـاد رشـدي، تقدم إضـاءة كاشـفة لهذه المرأة، والمناضـلة اليسـارية التي قالت عن نفسـها ذات يوم في إحدى شـهاداتها الإبداعية: أنا امرأة، وهذا في يقيني عضمهم جدا للتعريف بالذات."(١٠)

تكتب الأديبة في سيرتها:

" ولم أكن أتأمل رجلا جميلا، ولا حتى إنساناً جميلاً، كنت أتأمل الجمال في إطلاقه، وفي لحظة فريدة يتناهى فيها التأمل إلى التوحد مع الجمال على إطلاقه، ومع الكمال على إطلاقه، وأتحرر من أسر الجسد ونسبية الزمان والمكان. " (١١)

وتكتب في موضع آخر:

" أدرك الآن أنى سعيت العمر لما هو مطلق، وأن المطلق قرين الموت، فلا ديمومة ولا ثبات في حياة شيمتها التغير الدائب. أدرك الآن أن جي كان ضياعا في الآخر، وأن جريمتي لا تغتفر لأن فعلت، فما من جريمة أمدح من جريمة وأد الذات، ويداي ملوثتان بدمي. " (١٢)

و ((بيع وشرا)) (مسرحية) (١٩٩٤) و((صاحب البيت)) (رواية) (١٩٩٤).

ولها كتب قيم في النقد: كما كتبت في هذا المجال ((من صور المرأة في القصص والروايات العربية)) (١٩٨٩). و ((نجيب محفوظ: الصورة والمثال)) (مقالات نقدية) ١٩٨٩. و((أضواء: مقالات نقدية)) (١٩٩٤). و((فورد مادوكس فورد والحداثة)) (١٩٩٦).

وكتبت في مجال الترجمة حول الموضوع ((مقالات نقدية: ت. س. البيوت)) (١٩٦٢). و((حول الفن: رؤية ماركسية)) (١٩٩٤). وكتبت ((كل هذا الصوت الجميل)) (مختارات قصصية لكاتبات عربيات) (١٩٩٤)

وتقول لطيفة الزيات عن كتابتها:

" وفي كل عمل إبداعي صدر عنى كنت أعيش بوعي حريتي وأنا أكتبه وأبلور بلا وعي مفهومي للحرية في طياته. "(١٣)

وتقول عن تجربتها في الكتابة:

" ببساطة أكتب حين أحس بتشكل رؤية ما للحياة. رؤية تلح علي، تطالبني بالأفرنج عنها. وهي أيضاً، تجعلني أحس كما لو كنت معزولة، أو كما لو كنت وحدي، لأنها حبيسة داخلي وأريد أن أقولها أوصلها للناس. وأن يشاركوني فيها، وحين تتم هذه المشاركة، تنكسر عزلتي وأعود جزءًا من المجتمع فحين يستجيب القراء لما أكتب أشعر أنى انتميت من جديد لعالم الكلمة ولم أعد وحدي. " (١٤)

كانت لطيفة الزيات رائدة كأكاديمية لأنها بدأت العمل الأكاديمي في وقت كانت النساء الأكاديميات قليلات، ورائدة كيسارية لان النساء اللاتي انضممن إلى اليسار في ذلك الوقت كن يعددن على الأصابع، ورائدة كروائية لان المصريات اللاتي كتبن

الرواية قبلها كن قليلات، وكانت في نفس الوقت من أول الروائيات اللاتي كتبن الرواية التي تنطق بصوت المرأة وتعبر عن قضاياها وحزنها وهمومها. ومع ذلك كانت الأديبة ككاتبة قصة قصيرة، ورائدة كناقدة لان مصر لم تعرف قبلها ناقدات من النساء إلا قليلات مثل الرائدة الأخرى سهير القلماوي. وكانت الأديبة لطيفة الزيات رائدة في كتابة السيرة الذاتية ولم يسبقها في هذا المجال الأدبي سوي الدكتورة نوال السعداوي وقبلهما كانت باحثة البادية ملك حفني ناصف. وفضلا عن ذلك كانت الدكتورة لطيفة الزيات كرائدة في العمل الحزبي عندما ننظر إلى حياتها ونشاطاتها في حزب التجمع. وإنها واحدة من الرائدات في العصر الحديث بـــ مصر التي سجلت وخاضت بريادتها عدة مجالات الحياة والأدب.

كما يقول الأستاذ خالد السرجاني في مقالته ((لطيفة الزيات... رائدة الرواية والنقد)) التي نشرت في مجلة الأهرام:

"كانت لطيفة الزيات ظاهرة نسائية ليس فقط بإنجازاتها المتعددة على صعيد الرواية والقصة والنقد والمسرح، ولا حتى صعيد النضال السياسي، سواء فيما يتعلق بالعمل الوطني في الجامعة أو الانضمام إلى حركة اليسار في زمن كان الانضمام إلى اليسار ليس سهلا ويعرض صاحبه للاعتقال والحصار، أو فيما يتعلق بالنضال ضد الاستعمار الإنجليزي قبل الانسحاب أو في معارك بور سعيد عام ١٩٥٦، على النحو الذى أشارت إليه في سيرتها الذاتية، وكان الاعتقال بسبب دورها في لجنة الدفاع عن الثقافة القومية التي رأسها المناضل الكبير عبد العظيم أنيس والتي أصدرت مجلة دورية اسمها المواجهة كانت حائط صدمهم وقوي ضد جهود التطبيع الثقافي مع إسرائيل "(٦)

فهذه الكاتبة المبدعة الأديبة الدكتورة لطيفة الزيات ساهمت بالكتابة في المجلات الأدبية إضافة إلى العديد من الأبحاث في النقد الأدبي العربي والإنكليزي. وتوفيت عام ١٩٩٦. (١٥)

المصادر والمراجع

(١) نساء من بلادي، لنادية نويهض، ص – ١٠٠٩

(٢) المرأة والسلطة في مصر الواقع السياسي والأدبي (١٩١٩ م – ١٩٨١ م) لعفاف المعطي.

(٣) نفس المرجع.

(٤) نساء من بلادي، لنادية نويهض، ص-١٠١٠

(٥) The American University in Cairo press Retrieved,May5,2013

(٦) دار الكرمة تعيد نشر رائعة لطيفة الزيات "الباب المفتوخ" موقع البداية، ١٣ نوفمبر ٢٠١٥.

(٧) https://www.goodreads.comلطيفة الزيات Author of Quotesالباب المفتوح.

(٨) نفس المرجع

(٩) نفس المرجع

(١٠) نفس المرجع

(١١) نفس المرجع

(١٢) نفس المرجع

(١٣) المرأة والسلطة في مصر الواقع السياسي والأدبي (١٩١٩ – ١٩٨١ م) لعفاف المعطي.

(١٤) نساء من بلادي، لنادية نويهض، ص – ١٠١١

(١٥) المرأة والسلطة في مصر الواقع السياسي والأدبي (١٩١٩ م – ١٩٨١ م)